صفات المجددين للدين

ويليه

تزكية النفوس والتعليم

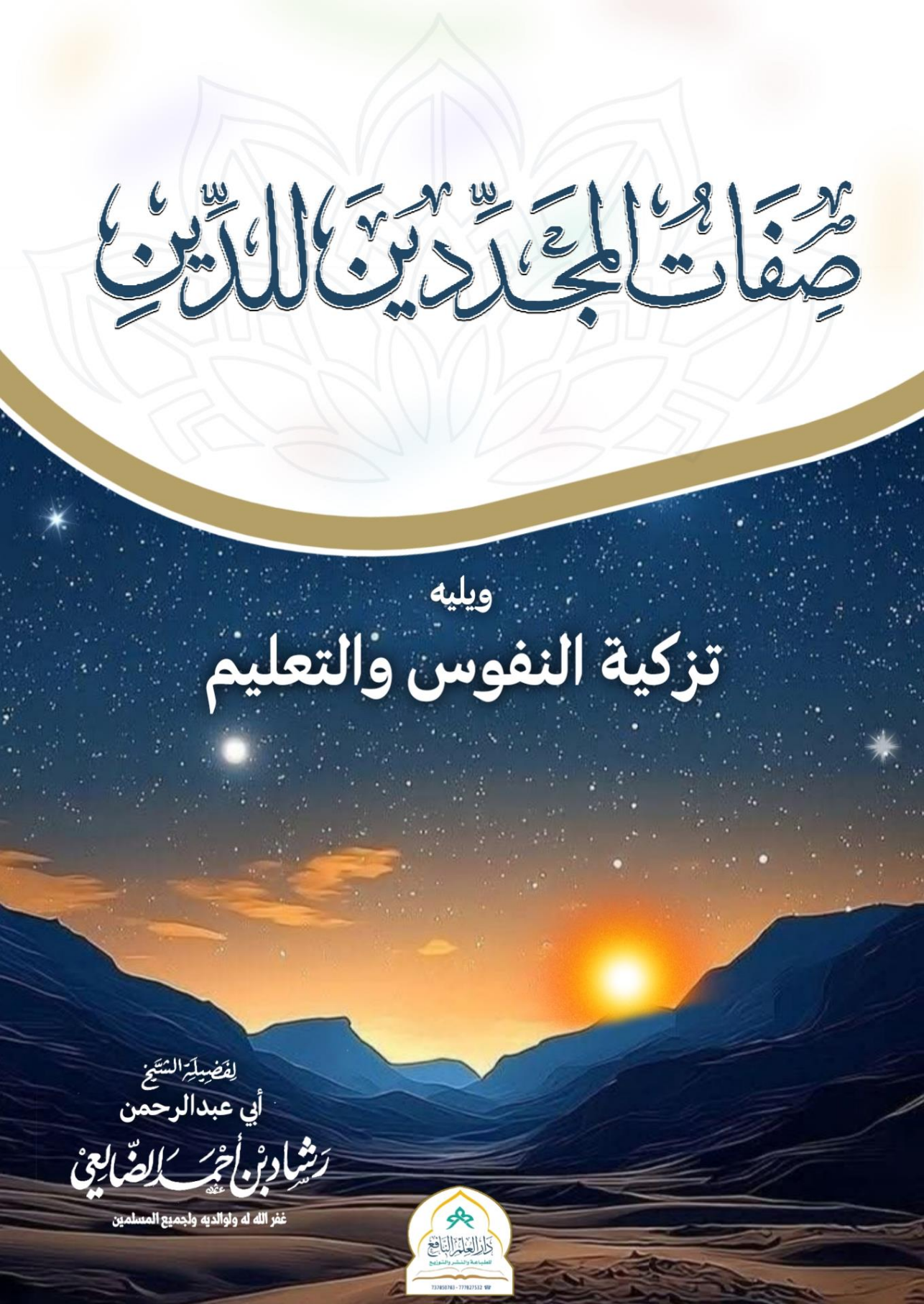

لفضيلة الشيخ

أبي عبدالرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار العالم النافع

للطباعة والنشر والتوزيع

733850783 - 777827552

صِفَاتُ المجَدِّدِينَ للدِّينِ

ويليه

تزكية النفوس والتعليم

محفوظة جميع الحقوق

اسم الكتاب: صفات المجددين للدين ويليه تزكية النفوس والتعليم
المؤلف: أبو عبدالرحمن رشاد بن أحمد الضالعي
مقاسات الكتاب: ١٧×٢٤
تاريخ التنسيق: ١٤٤٧هـ
الطبعة: (الأولى)
دار العلم النافع – اليمن - الضالع

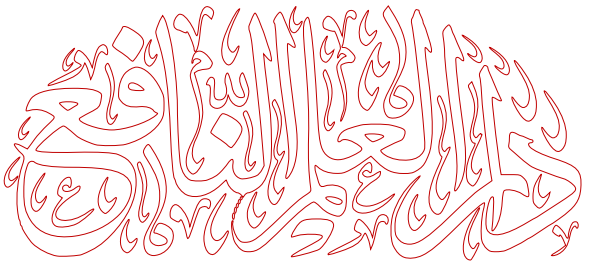

اليمن - محافظة الضالع - جوار دار الحديث السلفية
+967 737850783 +967 777827532
Email:amarhedyain@gmail.com

صِفَاتُ المُجَدِّدِينَ لِلدِّينِ

كلمة ألقيت في دار الحديث السلفية بالحامي
ظهر يوم الاثنين ٤/ شعبان/ ١٤٤٦هـ

لفضيلة الشيخ
أبي عبد الرحمن
رشاد بن أحمد الضالعي
حفظه الله تعالى

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أما بعد:

فقد منَّ الله تعالى عليَّ –وله الحمد والفضل– برحلة دعوية في عام ١٤٤٦هـ إلى بلاد حضرموت والمهرة وما حولها، استمرت هذه الرحلة عشرة أيام، وحصل فيها خير كثير، من اللقاءات العلمية، والزيارات الأخوية في الله، وما يتبع ذلك من الخير.

وكما هو المعتاد أن الذي يزور إخوانه زيارة دعوية يُلقي عليهم بعض المحاضرات والنصائح والتوجيهات، فكان في هذه الزيارة من ذلك خير كثير، وتم تسجيل أربعةٍ وأربعين محاضرةً ومجلسًا علميًّا.

ويقوم الآن على تفريغها وتجهيزها للطباعة أخونا المبارك أبو عبد الرحمن عمار بن علي بن سعيد جزاه الله خيرا وبارك في جهوده، وستكون في كتاب واحد إن شاء الله، وقد رغب بعض الإخوة في إفراد هاتين الكلمتين المختصرتين:

الكلمة الأولى: كانت في دار الحديث بالحامي –حضرموت، وهي في شرح حديث: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**».

والكلمة الثانية: كانت في دار الحديث بحَصْوَين- المهرة، وهي في تفسير الآيات الأربع التي جمع الله تعالى فيها بين الأمر بتزكية النفوس والتعليم.

ثم بعد تفريغها من التسجيل قمتُ بمراجعتها وإضافة بعض الفوائد والنقولات إليها، وقد جعلت ما أضفته إليها في الحاشية؛ حتى يتميز عن أصل الكلام الذي كان إلقاءً.

فصارت في هذه الرسالة التي أسأل الله تعالى أن ينفع بها من شاء من عباده، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

أبو عبد الرحمن

رشاد بن أحمد الضالعي

٢٨ ربيع الأول ١٤٤٧هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صفات المجددين للدين

إن الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾

[سورة آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾

[سورة النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

اعلموا أن خير الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة في الله نحمد الله سبحانه وتعالى الذي أكرمنا ومنَّ علينا بهذا اللقاء المبارك بإخواننا في الله طلبة العلم والمشايخ الفضلاء في هذه الدار العامرة بالعلم والتعليم، فكم يفرح الإنسان برؤيته لأخيه، واجتماعه معه على طاعة الله سبحانه وتعالى، فهذه من أجلِّ نِعم الله جل وعلا.

ونشكر في هذا المقام فضيلة الشيخ أبا بلالٍ الحضرمي -حفظه الله وبارك فيه- على هذه المحبة والحفاوة العظيمة وهذا الشعور الذي يجده تجاه إخوانه ممن هم يحبونه كذلك في الله ويثنون عليه ويدعون له بالخير، فنسأل الله تعالى أن يجزيه خيراً، وأن يبارك فيكم جميعا.

والحقيقة أن زيارتنا لكم هي من باب زيارة الأخ لأخيه لرؤيته وتفقُّد حاله، وليفرح بما يراه عليه من الخير.

وإلا فأنتم -ولله الحمد- في رياض العلم في الليل والنهار ما بين درس عام أو خاص، وما بين حفظ أو مراجعة أو مذاكرة أو عبادة كالصلاة ونحوها، فالزائر لكم يزوركم ليرى ما أنتم فيه من الخير فيفرح بذلك.

وفي هذا المقام نتذاكر حديثا من أحاديث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لعلَّه يكون حافزا ومنشطًا لنا، وأيضًا موضِّحًا لطريق سيرنا في طلب العلم.

وهذا الحديث هو ما أخرجه الإمام أبو داود في سننه (٤٢٩١)، وكذلك الحاكم في المستدرك (٨٥٩٢)، بإسناد حسن، سندُه حسن وهو حديث مشهور، حتى قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (اتفق الحفاظ على تصحيحه).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**».

هذا الحديث العظيم، المشهور عند أهل العلم بحديث التجديد، هو بشارة من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإخبار منه بأن هذا الدين في حفظ دائم وفي تجديد مستمر، كلما اندرس بعضه، وجَهِل الناس ببعض سننه وأحكامه وشرائعه، كلما بعث الله تعالى من يجدد ذلك ويحييه وينشره في الناس.

والتجديد معناه يؤخذ من لفظه، فالشيء الجديد خلاف الشيء القديم الذي اندرس وذهب وانمحى، فالتجديد بمعنى أن يجعل الدين كأنما هو في زمن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكلُّ ما بلي منه وانمحى واندرس يُعيده وينشره ويبثه في الناس، حتى يكون الناس كأنما هم في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي زمن الصحابة[1].

ومعرفة التجديد والمجدد يتبين بمعرفة صفات المجدد:

فمن أهم صفات المُجَدِّد الذي يجدد الدين:

١- **أنه يدعو الناس إلى الدين الحق والمعتقد الصحيح**، الذي كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وهذا أهمُّ ما يدعو إليه المجدد، ويُكرِّس فيه جهوده، ويفني عمره في تقريره وبيانه للناس.

---

(١) قال في عون المعبود (٤٢٩١): (الْمُرَادُ مِنَ التَّجْدِيدِ: إِحْيَاءُ مَا اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وَإِمَاتَةُ مَا ظَهَرَ مِنَ الْبِدَعِ وَالْمُحْدَثَاتِ. قَالَ فِي مَجَالِسِ الْأَبْرَارِ: وَالْمُدرَادُ مِنْ تَجْدِيدِ الدِّينِ لِلْأُمَّةِ إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا).

٢- المجدد هو الذي يدعو إلى السنن، ويسعى في نشرها وبثِّها وإحياء ما اندرس منها والعملِ بما هُجِر منها، فيُحييها وينشرها في الناس بكل ما يستطيع من الوسائل، سواء كان بالكتابة والتأليف أو بالتدريس أو بالخطابة أو بالوعظ والإرشاد، يحيي السنن ويبثها وينشرها في الناس، وهذا هو معنى حديث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي في صحيح مسلم (١٠١٧) أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**».

فمعنى قوله: «**مَنْ سَنَّ**» أي أحيا سنة قد أُميتت، ونشر سنة قد هُجرت.

٣- المجدد هو الذي يحارب الشركيات والخرافات والبدع والمحدثات، فيسعى في إماتتها وإبطالها وقمعها وقمع أهلها الداعين إليها، فلا تروج في الناس خرافات ولا شركيات ولا محدثات إلا تصدَّى لها بكل ما يمكن، قد يوجد هذا المجدد في زمن امتلأ بالشركيات والخرافات والبدع فلا يزال جاهداً مجاهدا داعيا حتى يميت ذلك.

٤- المجدد هو الذي يحمل همَّةً عاليةً في نشر السنن، وإحياء ما اندرس منها، وفي إظهار أحكام هذه الشريعة العظيمة والجهر بها وغرسها في نفوس الناس وتعظيمها وتعليم الناس إياها[(١)].

---

(١) قال في عون المعبود (٤٢٩١): (الْمُجَدِّدُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ عَزْمُهُ وَهِمَّتُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِحْيَاءَ السُّنَنِ وَنَشْرَهَا وَنَصْرَ صَاحِبِهَا وَإِمَاتَةَ الْبِدَعِ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ وَمَحْوَهَا وَكَسْرَ أَهْلِهَا بِاللِّسَانِ أَوْ تَصْنِيفِ الْكُتُبِ وَالتَّدْرِيسِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ مُجَدِّدًا الْبَتَّةَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ مَشْهُورًا بَيْنَ النَّاسِ مَرْجِعًا لَهُمْ).

٥- المجدد هو الذي ينفي عن سنة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ما أُدخِل فيها من الأباطيل والأكاذيب والأحاديث الضعيفة التي هي مصدر البدع والخرافات، فيجدد السنة بنفي ما علق فيها مما ليس منها، ويفني لأجل ذلك حياته[(١)].

٦- المجدد للدين لا يكون إلا عالمًا، فلا يمكن أبداً أن يكون مجدداً للدين وهو غير عالم، لأن التجديد مبناه على العلم، ولا يعلم السنن وأحكام الشريعة والمخالفات التي عند الناس والبدع التي تخالف الدين إلا صاحب علم، وبهذا يتمكن من التجديد، وأما الذي لا يعلم فكيف يجدِّد شيئا لا يعلمه.

٧- المجدد للدين لا يكون إلا مجتهداً، ولا يمكن أن يكون المجدد مقلِّداً، حتى لو كان عالمًا بلغ من العلم مبلغًا عظيمًا وهو مقلد فلا يكون مجدداً، -مع أن المقلد لا يسمى عالمًا أصلا كما قال أبو عُمَر ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمع الناس على أن المقلد ليس معدودا من أهل العلم، وأن العلم معرفة الحق بدليله) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أعلام الموقعين: وَهَذَا كَمَا قَالَ أَبُو عُمَرَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَخْتَلِفُونَ أَنَّ الْعِلْمَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ الْحَاصِلَةُ عَنْ الدَّلِيلِ، وَأَمَّا بِدُونِ الدَّلِيلِ فَإِنَّمَا هُوَ تَقْلِيدٌ-، فالمجدد لا يكون إلا مجتهداً غير متقيِّدٍ بالتقليد، لأن المقلد يسير على ما سار عليه من قبله، فإن وُجد تجديد فهو لمن قبله ممن يقلده، وأما المقلد فليس له تجديد.

---

(١) قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (إن الله تعالى يُقَيِّض للناس في كل رأس مائة سنة من يعلمهم السنن، وينفي عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكذب). تاريخ بغداد (٢/ ٦٠).

فالمجدد لا بُدَّ أن يكون مجتهداً في هذا الدين، متبعـًا للدليل، فيرى ما خالف الأدلة، ويرى ما أُميت من العمل بالأدلة، فينشره بعلمه الذي أوصله الله تعالى إليه، واجتهاده الذي بلغه علمه.

وليس كل عالم يكون مجدداً فقد يكون العالِم عالمـًا متمكِّنـًا ومرجعـًا للناس في بيان الأحكام، ومفتيـًا مجيداً للفتوى، ولكنه ليس مجدداً، إذ أنها تختلف همم العلماء وتختلف توجهاتهم، فترى من العلماء من يُدَرِّس الناس وينفعهم ويبيِّن أحكام الشريعة لكن لا تجد له همةً في بيان السنن وبثِّها في الناس وإحياء ما اندرس منها، وفي محاربة الخرافة والبدع وما علق بالدين وليس منه.

٨- المجدد أيضـًا لا يكون إلا سُنِّيًّا متَّبعـًا لطريق السلف، لأن هذا هو معنى التجديد أن يعيد الناس إلى السنة وإلى طريق السلف، وأن يحارب ما خالف السنة وطريق السلف، ولا يكون ذلك إلا من سُني، فإن المبتدع يميت السنن ويحاربها، ويحيي البدع وينشرها، فصنيع المبتدع نقيض فِعْلِ المجدد، فلا يجتمع مبتدع ومجدد وإن بلغ في العلم ما بلغ.

ولذا من الخطأ أن يطلق على بعض أهل البدع أو بعض من ليس من العلماء أنه مجدد، كما نسمع من الإخوان المسلمين الذين يسمون حسن البنا مجدداً، وكما نسمع من بعض الناس من يسمي بعض العقلانيين كجمال الدين الأفغاني وأمثاله

ويصفهم بأنهم مجددون، فالتجديد لا يكون إلا من عالم، ولا يكون إلا من سُنِّي سائر على طريق السلف[١].

٩- المجدد يشهد له العلماء بالتجديد، ويصفونه بذلك لما يرون من صفات، وليس هو الذي يصف نفسه بذلك، ولذا عاب العلماء على السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ رغم ما كان عليه من العلم الكثير عابوا عليه وصفَه لنفسه في أكثر من كتاب من كتبه بأنه مجدد العصر، فالمجدد يشهد له بذلك أهل العلم، فهذا هو المجدد للدين الذي يبعثه الله تعالى على رأسِ كل مائة سنة[٢].

---

(١) قال في عون المعبود (٤٢٩١): (الْمُجَدِّدُ لَا يَكُونُ إِلَّا مَنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، وَمَعَ ذَلِكَ مَنْ كَانَ عَزْمُهُ وَهِمَّتُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِحْيَاءَ السُّنَنِ وَنَشْرَهَا وَنَصْرَ صَاحِبِهَا وَإِمَاتَةَ الْبِدَعِ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ وَمَحْوَهَا وَكَسْرَ أَهْلِهَا بِاللِّسَانِ أَوْ تَصْنِيفِ الْكُتُبِ وَالتَّدْرِيسِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، وَمَنْ لَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَا يَكُونُ مُجَدِّدًا الْبَتَّةَ وَإِنْ كَانَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ مَشْهُورًا بَيْنَ النَّاسِ مَرْجِعًا لَهُمْ.

فَالْعَجَبُ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْ صَاحِبِ جَامِعِ الْأُصُولِ أَنَّهُ عَدَّ أَبَا جَعْفَرٍ الْإِمَامِيَّ الشِّيعِيَّ وَالْمُرْتَضَى أَخَا الرِّضَا الْإِمَامِيَّ الشِّيعِيَّ مِنَ الْمُجَدِّدِينَ، وَلَا شُبْهَةَ فِي أَنَّ عَدَّهُمَا مِنَ الْمُجَدِّدِينَ خَطَأٌ فَاحِشٌ وَغَلَطٌ بَيِّنٌ؛ لِأَنَّ عُلَمَاءَ الشِّيعَةِ وَإِنْ وَصَلُوا إِلَى مَرْتَبَةِ الِاجْتِهَادِ وَبَلَغُوا أَقْصَى مَرَاتِبَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ وَاشْتَهَرُوا غَايَةَ الِاشْتِهَارِ لَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَأْهِلُونَ الْمُجَدِّدِيَّةَ. كَيْفَ وَهُمْ يُخَرِّبُونَ الدِّينَ فَكَيْفَ يُجَدِّدُونَ؟! وَيُمِيتُونَ السُّنَنَ فَكَيْفَ يُحْيُونَهَا؟! وَيُرَوِّجُونَ الْبِدَعَ فَكَيْفَ يَمْحُونَهَا؟!).

(٢) قال في عون المعبود (٤٢٩١): (قَالَ فِي مَجَالِسِ الْأَبْرَارِ: وَلَا يُعْلَمُ ذَلِكَ الْمُجَدِّدُ إِلَّا بِغَلَبَةِ الظَّنِّ مِمَّنْ عَاصَرَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِقَرَائِنِ أَحْوَالِهِ وَالِانْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ، إِذِ الْمُجَدِّدُ لِلدِّينِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، نَاصِرًا لِلسُّنَّةِ قَامِعًا لِلْبِدْعَةِ وَأَنْ يَعُمَّ عِلْمُهُ أَهْلَ زَمَانِهِ).

١٠- المجدد يوجد في زمان فشا فيه الجهل والبدع والمخالفات، واندرس فيه العلم والسنن، فيجتهد في إزالة المخالفات ومحوها واستبدالها بالسنن والطاعات، وغالبا ما تخفى السنن وتندرس على رأس المائة سنة[(١)].

فهذه أهمُّ صفات المجدد، وهذا هو معنى التجديد للدين.

معنى الحديث إجمالا:

ومعنى الحديث إجمالا: أن الله تعالى يهيئ لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُبيِّن الدين وينشر السنة ويَبُثُّ العلم ويحارب البدع والمحدثات والمخالفات ويكسر أهلها، فكلما انحرف الكثير من الناس عن جادة الدين الذي أكمله الله لعباده وأتم عليهم نعمته ورضيه لهم دينا بعث إليهم علماء أو عالما بصيرا بالإسلام، وداعية رشيدا يبصِّر الناس بكتاب الله وسنة رسوله الثابتة، ويجنبهم البدع ويحذرهم محدثات الأمور ويردهم عن انحرافهم إلى الصراط المستقيم كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسُمِّي ذلك: تجديدا، أي بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمله، فإن التغيُّر والضعف والانحراف إنما يطرأ مرة بعد مرة على الأمة، أما الإسلام نفسه

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في جامع المسائل (٥/ ٢٩٧): (ولا يكون التجديد إلاّ بعد استهدام).

وقال في مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٩٧): (وَالتَّجْدِيدُ إنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الدُّرُوسِ، وَذَاكَ هُوَ غُرْبَةُ الْإِسْلَامِ).

وقال في عون المعبود (٤٢٩١): (وَإِنَّمَا كَانَ التَّجْدِيدُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ لِانْخِرَامِ الْعُلَمَاءِ فِيهِ غَالِبًا وَانْدِرَاسِ السُّنَنِ وَظُهُورِ الْبِدَعِ فَيُحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى تَجْدِيدِ الدِّينِ).

فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المبينة له، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [سورة الحجر:٩][(١)].

معنى يبعث:

ومعنى قوله: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ**». ذكر بعض أهل العلم أن المعنى: أنه يُولد في رأس المائة السنة من يجدد للناس أمر الدين وينشأ كذلك.

وقال بعض العلماء: معنى «**يَبْعَثُ**» أي: أنه يكون في رأس المائة متأهِّلاً لنشر العلم والسنة، أي: أنه يولد قبل ذلك إما في نصف المائة أو بعد نصفها أو قبله بقليل بحيث لا يأتي عليه رأس المائة إلا وقد صار متأهلاً لنفع الناس ونشر العلم وإحياء السنن.

وهذا المعنى الثاني هو الصحيح في الحديث، وأن معنى يبعثه: أنه يجعله في ذلك الوقت مؤهلاً لذلك، لأن هذا هو معنى البعث والبعثة، فلذا يقال: بعثة الرسول، أي: بداية الوحي إليه وجَعْلِهِ مُهيَّئًا للدعوة إلى الله سبحانه وبثِّ العلم ونشره، ولا يقال لمولد الرسول بعثة الرسول.

وبهذا يتبين ضعف قول من قال من شُرَّاح الحديث، إن معنى «**يبعث**» أي يموت، يموت في رأس المائة، فإن هذا معنى ضعيف وبعيد من الحديث، فإن الموت أَخْذٌ وليس ببعث.

---

(١) انظر فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

فإذاً معنى: «**يبعث**» أنه في رأس المائة أو قبل رأس المائة بقليل أو بعده بقليل يكون متصدياً لنشر الدين متأهلاً لبث العلم، قد أخذ العلم قبل ذلك وحصَّله فلا يأتي عليه ذلك الوقت -رأس المائة- إلا وهو ممن يبث دين الله سبحانه وتعالى وينشره ويحيي ما اندرس منه[١].

المراد بالسنين:

* والمراد بالسنين في قوله: «**عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ**». المائة سنة الهجرية، هذا هو المعروف عند المسلمين، وهو الذي تُحمل عليه الأدلة إذا أُطلقت، وهكذا هذا هو المعروف بالقرن إذا أطلق عند الناس، فعلى رأس كل مائة سنة يأتي من يجدد لهذه الأمة دينها.

* والمراد برأس كل مائة سنة، أي تمام المائة والانتقال إلى المائة الثانية، ولا يلزم أن يكون في رأس المائة تماماً فقد يكون في رأس المائة وقد يكون قبل رأس المائة بزمن قليل وقد يكون بعد رأس المائة بزمن قليل، في آخر المائة الأولى أو أوائل المائة

(١) قال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير (١/ ٩): (وهنا تنبيه ينبغي التفطن له وهو: أن كل من تكلم على حديث: (إن الله يبعث) إنما يقرره بناء على أن المبعوث على رأس القرن يكون موته على رأسه، وأنت خبير بأن المتبادر من الحديث إنما هو أن البعث -وهو الإرسال- يكون على رأس القرن أي: أوله، ومعنى إرسال العالم: تَأَهُّلُهُ للتصدي لنفع الأنام وانتصابه لنشر الأحكام، وموتُه على رأس القرن أخذٌ لا بعث، فتدبر بإنصاف).

الثانية، فكلُّ هذا يشمله قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ**»، ويحتمل هذه المعاني كلها.

* واختُلف في رأس المائة، هل يعتبر حساب المائة من مولد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو من بعثته أو من هجرته أو من وفاته؟ وأقوى هذه الأقوال الثاني والثالث قول من قال: من بعثته، وقول من قال: من هجرته، فمن قال: من بعثته، يقول: إن هذا يوافق البعث، فالمجددون تكون بعثتهم على رأس كل مائة سنة من بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن قال: من هجرته، يقول: إن القرن الهجري هو المتعارف عليه عند المسلمين، فيُحمل عليه، وعلى كل حال فالقولان متقاربان في الزمان فإن بين بعثة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهجرته ثلاثة عشر عاما.

من فوائد الحديث:

ونستفيد من قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**». أنه قد يوجد في الزمن الواحد أكثر من مجدد، فإن «مَنْ» اسم موصول يُستعمل في الفرد ويستعمل في الجمع، فقد يكون المجدد واحداً، وقد يكون أكثر من واحد، كلهم يجددون أمر الدين، قد يكونون في بلدان متفرقة، وقد يكونون في بلد واحد[(١)].

(١) قال أبو السعادات ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جامع الأصول (٨٨٨١): (ولا يلزم منه أن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً واحداً، وإنما قد يكون واحداً، وقد يكون أكثر منه؛ فإن لفظة «مَنْ» تقع على الواحد والجمع).
=

أيضًا نستفيد من قول الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ...**». أن وجود المجددين فضلٌ من الله تعالى واختيار، فالله جل وعلا هو الذي يبعثهم ويختارهم كما بعث الله تعالى الرسل واختارهم من سائر الخلق، كذلك يبعث المجددين الذين يجددون لهذه الأمة دينها.

والعلمُ عمومًا هو رزق من الله تعالى، يعطيه الله من يشاء ممن علم أهليته لذلك، وكم نجد في آيات من القرآن، يقول الله تعالى: ﴿أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾، ذكر الله تعالى هذا في نحو عشرة مواضع من القرآن، والمعنى: أن الله هو الذي آتاهم العلم، فلم يُحَصِّلوا

=

وقال المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فيض القدير (١/ ٩): (قوله: (مَن يجدد) أي مجتهدا واحدا أو متعددا، قائما بالحجة ناصرا للسنة، له مَلَكَةُ ردِّ المتشابهات إلى المحكمات، وقوة استنباط الحقائق والدقائق النظريات، من نصوص الفرقان وإشاراته ودلالاته واقتضاآته من قلب حاضر وفؤاد يقظان. قال الحراني: ومَن اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادا وجموعا واستغراقا).

وقال في عون المعبود (٤٢٩١): (اعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مُجَدِّدٌ وَاحِدٌ فَقَطْ، بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ. لِصَلَاحِيَةِ (مَنْ) لِلْوَاحِدِ وَمَا فَوْقَهُ.

وَقَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي وَهُوَ (أَيْ حَمْلُ الْحَدِيثِ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ وَاحِدٍ) مُتَّجَهٌ؛ فَإِنَّ اجْتِمَاعَ الصِّفَاتِ الْمُحْتَاجُ إِلَى تَجْدِيدِهَا لَا يَنْحَصِرُ فِي نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ، وَلَا يَلْزَمُ أَنَّ جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ كُلِّهَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ). انتهى ملخصا.

وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في موسوعة الألباني في العقيدة (٢/ ٨١-٨٢): (لا ينبغي أن نتصور أن المجدد يكون واحداً في كل عصر، وإنما يمكن أن يكون هناك مجددون في كل عصر، مجددون كثيرون، لكن لكل منهم اختصاصه في التجديد، فمجددٌ في التوحيد، مجددٌ في الحديث، مجددٌ في التفسير، وفي اللغة، وفي كل شيء تعلَّق بإحياء فرض كفاية لفهم الإسلام فهمًا صحيحًا).

العلم من ذات أنفسهم، وليس ذلك بحولهم وبمجرد بذكائهم وحرصهم، ولكنه عطاء من الله تعالى، يعطيه الله من يشاء، قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في "جامع بيان العلم لابن عبد البر": (ليس الفقه بكثرة المسائل ولكنه نور يقذفه الله تعالى في القلب). فكذلك التجديد، هو بَعْثٌ من الله سبحانه وتعالى يبعث الله لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها على رأس كل مائة سنة.

ومما نستفيده من هذا الحديث أيضـًا: أن هذا الدين محفوظ لا يبلى ولا ينمحي على وجه الدوام والاستمرار، نعم يَدْرُسُ الإسلام في آخر الزمان وتنمحي شرائعه ومعالمه لأجل قيام الساعة، وأما ما دام في الناس بقية حياة وما دامت السماوات والأرض قائمة، والدنيا مستمرة فالدين في تجديد، قد ينمحي بعض أحكام الدين، وقد يندرس بعض سننه في مكان من الأمكنة أو زمان من الأزمنة، ولكن الدين محفوظ والله سبحانه وتعالى يُهيئ له من يُجدِّده.

أيضـًا مما نستفيد من هذا الحديث: أن طالب العلم يكون صاحب همة عالية، وصاحب نفس كبيرة في نشر هذا الدين وبثه وإحياء ما اندرس منه، وفي محاربة الشرك بالله بشتى صوره وأنواعه، ومحاربة البدع وبيانها بالأدلة من كلام الله وكلام رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهكذا بيان الخرافات التي تطرأ على الناس التي يبثها أهل الرفض وأهل التصوف وأهل الجهل والعقلانيون في أوساط هذه الأمة.

على دعاة الحق ودعاة السنة وطلبة العلم أن يكونوا أصحاب همم عالية وأن يحتسبوا أنفسهم ممن هيأهم الله واستعملهم لتجديد هذا الدين وإحياء ما اندرس منه وما ذهب من معالمه وأحكامه العظيمة، فإن ذلك هو غاية ما يؤمله طالب العلم وما يرجوه وما يسعى إليه في طَلَبِهِ للعلم أن يكون ممن يجدد الدين.

هذه مذاكرة يسيرة لمعنى هذا الحديث العظيم الذي يحمل هذه المعاني العظيمة، والذي هو حافز لكل طالب علم أن يكون ساعيًا في أن ينفع الله سبحانه وتعالى به الأمة نفعًا عظيمًا.

وإن كان في الوقت بقية فيشاركنا بعض إخواننا ممن حضر، فقد صَحِبَنَا في هذه الزيارة مجموعة مباركة من طلبة العلم والدعاة، وقد ذهب بعضهم في هذا الوقت لإلقاء المحاضرات في بعض المساجد، وممن بقي هنا أخونا أبو مطهر علي الشيبة حفظه الله وهو من وجوه أهل السنة والجماعة في بلاد الضالع ومن المحافظين على الدعوة والساعين في نصرتها، فإن بقي وقت فيتكلم في هذا المقام.

شكر الله تعالى للجميع وكتب لهم الأجر والثواب. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ونسأل الله تعالى أن ينفعنا بما قلنا وسمعنا.

والحمد لله رب العالمين.

تزكية النفوس

والتعليم

كلمة ألقيت في دار الحديث السلفية بحصوين
عصر يوم الأربعاء ٦/ شعبان/ ١٤٤٦هـ

لفضيلة الشيخ
أبي عبد الرحمن
رشاد بن أحمد الضالعي
حفظه الله تعالى

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع

تزكية النفوس والتعليم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

إخواني في الله، نحمد الله سبحانه وتعالى الذي أكرمنا بهذا اللقاء المبارك بإخواننا وأحبتنا في الله عز وجل من المشايخ وطلاب العلم القائمين على الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى في هذه الدار وما حولها من المناطق، وإنَّ هذا لفضل عظيم وهو من أعظم المقاصد في زيارتنا لإخواننا أن نلتقي بهم، فإن هذا من الطاعات العظيمة.

وأشكر لفضيلة الشيخ المبارك أبي عمرو عبد الكريم الحجوري حفظه الله حفاوتَه وترحابَه فجزاه الله خيراً وبارك الله فيه وفي جهوده وما يقوم به مع سائر من تعاون معه.

إخواني في الله معشر طلاب العلم وصيتنا لكم في هذا المقام أن تحرصوا على هذا الخير الذي أنتم فيه، فإن هذا العلم يُنال بعد توفيق الله وقسمته سبحانه وتعالى بالحرص عليه وبالجد في طلبه، وبالصبر على تلقِّيه كما قال الشعبي رَحِمَهُ اللَّهُ حين قيل له: كيف نلتَ هذا العلم؟ فقال: بنفي الاعتماد، والسير في البلاد، وبكور كبكور

الغراب، وصبر كصبر الحمار. أي بتبكيرٍ إليه وعدم كسلٍ وطلبٍ للراحة والدَّعة، وبصبر شديد وتحمُّلٍ لأجل هذا العلم.

فمن صبر على هذا العلم ناله؛ لأن العلم عزيز الجانب رفيع المكانة لا يوصل إليه إلا ببذل ما هو عزيز، وأعزُّ ما عند الإنسان حياتُه وعمره الذي يعيشه، فإذا بذله للعلم ناله أو نال منه بإذن الله سبحانه وتعالى.

فأنتم في خير عظيم، في دروس قائمة، وفي اجتماع مبارك يُنشِّط بعضكم بعضاً، فاحرصوا على ما أنتم فيه، فإن من حرص على الخير الذي هو فيه يناله بإذن الله سبحانه وتعالى.

الآيات التي فيها ذِكْرُ التزكية قبل التعليم:

وفي هذا المقام المختصر، الذي هو عبارة عن مشاركة معكم فيما أنتم فيه من الخير، أقف وإياكم مع آيات من كلام الله، أربع آيات في القرآن جَمَعَ الله تعالى فيها بين التعليم وتزكية النفوس، ثلاث منها من كلام الله ابتداءً، والرابعة مما ذكره الله عن نبيه إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهي أيضاً من كلام الله تعالى لا شك في ذلك.

والثلاث الآيات الأولى كلُّها قدَّم الله تعالى فيها تزكية النفوس على التعليم، والآية الرابعة التي ذكرها الله من دعاء إبراهيم قدَّم فيها التعليم على التزكية، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١﴾ [سورة البقرة:١٥١].

وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:١٦٤]. آية في سورة البقرة، وآية في سورة آل عمران.

والثالثة في سورة الجمعة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الجمعة:٢].

فهذه الآيات فيها ذِكْرُ التزكية قبل التعليم.

والآية الرابعة التي ذكرها الله تعالى من دعاء نبيه وخليله إبراهيم قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٩].

فهما أمران مطلوبان منشودان لكل طالب علم: التزكية والتعليم.

فالتزكية، بمعنى التطهير، تطهيرُ القلوب من الذنوب والمعاصي، وتطهيرها من كل نقص مما لا يليق أن يجتمع مع العلم، حتى يأتي هذا العلم على محلٍّ طاهر زَكِيٍّ، فتزكية النفس بالطاعة، وبالبعد عن المعصية، وبالأخلاق الحسنة، وبآداب أهل العلم، أمرٌ عظيم.

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ -بمعنى كلام له-: وتزكية النفوس أبلغ من تطهيرها من الذنوب، فإن الله تعالى ذكر التزكية بعد التطهير في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [سورة التوبة:١٠٣].

فعلمنا بهذا أن تزكية النفوس أمرٌ فوق تطهيرها من الذنوب والسيئات، فهو تطهيرها من الذنوب والسيئات وهو أيضاً تطييبها بالخير، تطييبها بالأقوال الطيبة، وبالأفعال الطيبة، وبالنوايا الطيبة، وبالمعتقدات الطيبة، فلا ينمو العلم ولا ينبت إلا في أرض زاكية، فإذا زكَّى الإنسان نفسه، فإنها تكون قابلةً للعلم، مستعدةً له، يظهر أثر العلم عليها، وأما إذا لم يكن ثَمَّ تطهيرٌ وتزكيةٌ للنفوس، فإن العلم لا يفيدها، بل قد يكون من باب تأكيد حجة الله عليها.

ونستفيد من هذه الآيات:

أن شأن الأنبياء تطهير النفوس وتعليمها فهذه الآيات كلها في ذِكْرِ الأنبياء، وأنهم يفعلون ذلك ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا﴾ [سورة آل عمران:١٦٤]، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا﴾ [سورة البقرة:١٥١]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا﴾ [سورة الجمعة:٢]، إلى آخرها. إذاً، الأنبياء أَتوا بتزكية نفوس الناس وتطهيرها، ثم علَّموها.

وقد قال الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أول ما قال له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [سورة المدثر:١-٤]، وقد فُسِّرَ قوله: ﴿وَثِيَابَكَ

﴿فَطَهِّرْ﴾ بتطهير الثياب من النجاسات، وفُسِّرَ بتطهير النفوس من الشرك والأرجاس والآثام(١).

ومثله قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة فصلت:٦-٧]، وقد جاء عن جماعة من السلف ورجَّح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن كثير: أن المراد بها تزكية النفوس بالتوحيد، لأنهم أهل كفر وشرك، ولا تطلب منهم الزكاة في حال كفرهم، وإنما معنى: ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾، أي لا يزكون أنفسهم بتوحيد الله سبحانه والبعد عن الإشراك به(٢).

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح العمدة (٢/ ٤١٣-٤١٤): (وقد استدل كثير من المتأخرين من أصحابنا وغيرهم على وجوب تطهير الثياب بقوله سبحانه: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾، حملا لذلك على ظاهر اللغة التي يعرفونها، فإن الثياب هي الملابس، وتطهيرُها بان تصان عن النجاسة وتُجَنَّبها بتقصيرها وتبعيدها منها، وبأن تُماطَ عنها النجاسة إذا إصابتها.

وقد نقل هذا عن بعض السلف، لكنَّ جماهيرَ السلف فسَّروا هذه الآية بأن المراد: زَكِّ نفسَك، وأصلِحْ عملَك، قالوا: وكنَّى بطهارة الثياب عن طهارة صاحبها من الأرجاس والآثام).

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٩٩): (وَهِيَ -أي الزكاة في الآية- عِنْدُ الْمُفَسِّرِينَ التَّوْحِيدُ).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠/ ٩٧): (وَهِيَ التَّوْحِيدُ وَالْإِيمَانُ الَّذِي بِهِ يَزْكُو الْقَلْبُ فَإِنَّهُ يَتَضَمَّنُ نَفْيَ إلَهِيَّةِ مَا سِوَى الْحَقِّ مِنْ الْقَلْبِ وَإِثْبَاتَ إلَهِيَّةِ الْحَقِّ فِي الْقَلْبِ وَهُوَ حَقِيقَةٌ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ، وَهَذَا أَصْلُ مَا تَزْكُو بِهِ الْقُلُوبُ). وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٧/ ١٤٥-١٤٦): (وَأَصْلُ الزَّكَاةِ التَّوْحِيدُ وَالْإِخْلَاصُ كَمَا فَسَّرَهَا بِذَلِكَ أَكَابِرُ السَّلَفِ).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٠/ ٦٣٣): (وَكَذَلِكَ قَالُوا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يُزَكُّونَ أَعْمَالَهُمْ. أَيْ لَيْسَتْ زَاكِيَةً، وَقِيلَ: لَا يُطَهِّرُونَهَا =

فاحرص يا طالب العلم على تزكية نفسك، احرص على تطهيرها، فإن القلب تكون فيه أمراض، فطهر قلبك من هذه الأمراض، وجاهد نفسك على دفعها، وادعُ الله تعالى أن يصرفها عنك.

كذلك هناك أفعال سيئة، طهِّر نفسك منها، وهناك أقوال وألفاظ لا تليق بصاحب العلم ولا تجتمع مع العلم، طهر نفسك منها، حتى يأتي العلم على محل صالح للإنبات، فأولُّ ما يُبذر العلم فيه يَنْبُتُ ويؤتي ثماره ويظهر أثره على صاحبه.

أما أن يعتني الإنسان بكثرة الأخذ للعلم من حفظٍ أو مراجعة أو درس ويغفل عن باب تطهير نفسه ومجاهدتها على إصلاحها فإن هذا لا يفيده إن استمر على هذا الحال، مع أن كثرة العلم أمرٌ مطلوب، وهو من أعظم السبل لتطهير النفس.

=

بِالْإِخْلَاصِ. كَأَنَّهُ أَرَادَ وَاللهُ أَعْلَم أَهْلَ الرِّيَاءِ فَإِنَّهُ شِرْكٌ. وَعَنْ الْحَسَنِ: لَا يُؤْمِنُونَ بِالزَّكَاةِ وَلَا يُقِرُّونَ بِهَا. وَعَنْ الضَّحَّاكِ: لَا يَتَصَدَّقُونَ وَلَا يُنْفِقُونَ فِي الطَّاعَةِ. وَعَنْ ابْنِ السَّائِبِ: لَا يُعْطُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ. قَالَ: كَانُوا يَحُجُّونَ وَيَعْتَمِرُونَ وَلَا يُزَكُّونَ. وَ التَّحْقِيقُ أَنَّ الْآيَةَ تَتَنَاوَلُ كُلَّ مَا يَتَزَكَّى بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ التَّوْحِيدِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عند الآية: (وَالْمُرَادُ بِالزَّكَاةِ هَاهُنَا: طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَمِنْ أَهَمِّ ذَلِكَ طَهَارَةُ النَّفْسِ مِنَ الشِّرْكِ. وَزَكَاةُ الْمَالِ إِنَّمَا سُمِّيَتْ زَكَاةً لِأَنَّهَا تُطَهِّرُهُ مِنَ الْحَرَامِ، وَتَكُونُ سَبَبًا لِزِيَادَتِهِ وَبَرَكَتِهِ وَكَثْرَةِ نَفْعِهِ، وَتَوْفِيقًا إِلَى اسْتِعْمَالِهِ فِي الطَّاعَاتِ.

وَقَالَ السُّدِّيُّ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ أَيْ: لَا يَدِينون بِالزَّكَاةِ.

وَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ: لَيْسَ هُمْ مِنْ أَهْلِ الزَّكَاةِ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: يَمْنَعُونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ.

وَهَذَا هُوَ الظَّاهِرُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ. وَفِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّ إِيجَابَ الزَّكَاةِ إِنَّمَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، عَلَى مَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ وَهَذِهِ الْآيَةُ مَكِّيَّةٌ).

ولذا كان ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (نحن إلى قليل من الأدب أحوجُ مِنَّا إلى كثير من العلم).

وكان في مجلس الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أناسٌ يكتبون الحديث، وأناس يجلسون ليتعلموا منه الخلق والأدب والسمت الحسن.

فهذا من أعظم ما تعتني به يا طالب العلم، وفيه فلاحُك كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [سورة الشمس:٧-٩]، أفلح من زكى هذه النفس وطهرها.

وجاء عن أبي عاصم النبيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ واسمه الضحاك بن مخلد قال: (من طلب الحديث فقد طلب أعلى الأمور، فيجب أن يكون خير الناس). فطُلَّاب العلم قد طلبوا أعلى الأمور وأسماها وأشرفها وهو العلم، فإذا كان كذلك فيجب عليهم أن يكونوا خير الناس، فإن الذي يطلبونه أمر عظيم وليس باليسير، فإذا كان الذي يطلبونه أمراً عظيمـًا فيجب أن يكونوا في أعلى ما يكون من الصفات، وفي أحسن ما يكون من الأحوال؛ لأنهم يطلبون أعلى الأمور.

تزكية النفوس يكون بالعقيدة الصحيحة، وتحقيق توحيد الله تعالى والبعد عن المخالفة فيه.

تزكية النفوس يكون بطاعة الله والبعد عن المعاصي، فإن المعاصي تُزيل من زكاء النفس بقدر وجودها، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟

﴿فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ [سورة النور:٣٠]، أي: يبتعدون عن المعاصي فلا ينظرون إلى الحرام، وأيضا يحفظون فروجهم عن ذلك، ﴿ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ﴾ [سورة النور:٣٠]، أطهر لقلوبهم، وأبعد لها عن الشرور، وقال الله سبحانه أيضاً في الآية التي قبلها: ﴿فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [سورة النور:٢٨]، أي: تستأذن على أخيك في بيته فيقال لك: إن فلاناً مشغول، إن فلاناً ليس مستعداً لمقابلتك الآن، ويُطلَب منك الرجوع، قال الله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْ﴾، امتثلوا أمر الله وارجعوا، ثم قال: ﴿هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾، هذا الرجوع الذي هو امتثالٌ لأمر الله، ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾.

كان بعض السلف يقول عند هذه الآية: والله لقد تمنيت من كذا وكذا من السنين أن أستأذن على شخص فيقول لي: ارجع. لأدخل في هذه الآية، ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ﴾ [سورة النور:٢٨].

وإنما كان أزكى للنفوس لأنه امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، فتزكية النفوس بامتثالها لأمر الله واجتنابها لنهيه.

وطالب العلم تعرض له في طلبه للعلم آفات، يعرض له الرياء، ويحتاج إلى مجاهدة لدفعه، ويعرض له الكبر، والترفع، ويحتاج إلى مجاهدة لدفعه، لأنه إذا حصل على شيء من العلم وبدأ فيه يغرُّه الشيطان، ويرى أن له فضلاً على زملائه، بل يرى أن له فضلاً على مشايخه، وربما يسمع شيخه يتكلم بالكلام فيتعقبه، ويرى أنه لم

يوفِّي هذه المسألة حقها، ويدخل عليه الشيطان من هذه الأبواب، كذلك طالب العلم يعرض له حب الشهرة والارتفاع، يعرض له من الفتن التي يواجهها بين مستقل ومستكثر، ومن الناس مَن قد تعرض له فتنة الدنيا وتتزيّن له فيتعلق بها ويكون قلبه مستشرفاً إليها يريد الحصول عليها ونيلها، وقد يعرض له حسد لبعض أصحابه وزملائه، وقد يعرض له الميل إلى المعاصي والشهوات، وقد يعرض له تنافس مذموم ليس بمحمود، وغير ذلك من الآفات التي قد تعتريه في طلب العلم، وهو في كل هذه الأحوال يحتاج أن يجاهد نفسه ويطهرها مما يعرض لها.

العلم -أخي في الله- شيء عظيم يحتاج إلى موضع صالح لينمو فيه، إذا كان الموضع الذي يوضع فيه العلم غير صالح لا ينمو العلم، ولا يظهر أثره على صاحبه، بل ربما كان العلم مذمَّة لطالب العلم، إذا عُرف أنه يحمل علماً ولم يظهر أثره عليه، ولم يزكِّ نفسه بذلك العلم، ولم يطهرها، أساء إلى أهل العلم وطلبته، وكان ضرره عليهم أكثر مما ينفعهم، قد تصدر منه الأقوال السيئة والأفعال السيئة والمعاملات التي لا تليق بأهل العلم، فيصير تشويهاً لأهل العلم كما هو حال كثير ممن فُتن عن العلم وتلقِّيه وأخذه، منهم من مال إلى الدنيا فأساء إلى العلم، ومنهم من انحرف إلى الشهوات والمعاصي باسم العلم فأساء إلى العلم، ومنهم، ومنهم.

فالله جل وعلا حين جمع بين هذين الأمرين في هذه الآيات، التزكية والتعليم، كان في ذلك تعليمٌ لنا، وإرشاد إلى أن ننتبه أن هذا العلم مقرون بتزكية النفس، وفي ثلاث

آيات بدأ الله تعالى قبل التعليم بتزكية النفس، لينتبه طالب العلم أن هذا مطلوب منه قبل مطلب التعليم، فزكِّ نفسك، وطهرها ثم تعلَّم.

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما عند الإمام أحمد (٣٦٠٠)، بإسناد حسن، قال: (إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ، فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ، فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ، فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ).

فبسبب طهارة هذه القلوب اختار الله سبحانه وتعالى أصحابها لهذا الوحي الطاهر، فأطهر قلب من المخلوقين هو قلب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاختاره الله لرسالته، ثم هذا القلب الطاهر الذي اختاره الله لرسالته يحتاج إلى قلوب طاهرة تكون معه، فكانت أطهر القلوب بعد قلبه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قلوب أصحابه، فجعل الله تعالى تلك القلوب مع ذلك القلب الطاهر وجعلهم وزراء لنبيه يقاتلون على دينه ويقومون به.

فتطهير القلب وتزكيته من أهم ما يعتني به طالب العلم، ولذا اعتنى العلماء بذلك عناية كبيرة، فتجد أنه ما من زمن إلا وأهل العلم يؤلفون المؤلفات في تزكية وتطهير طلبة العلم، لا تكاد تجد زماناً إلا ويكتب أهل العلم فيه الكتب التي هي كتب الآداب، آداب طلاب العلم، التي تزكِّي نفوسهم وأقوالهم وأفعالهم ومعاملتهم وأخلاقهم، فيقرؤون فيها يستفيدون منها.

وهكذا تجدهم يُحذِّرون فيها من الرياء، يُحذرون فيها من الإعجاب، يُحذرون فيها من الكبر، يُحذرون فيها من الحسد، يُحذرون فيها من الذنوب، يُحذرون فيها من

الميل إلى الشهوات والمعاصي، يُحذرون فيها من التعلق بالدنيا، يُحذرون فيها من قرناء السوء، وأمراض كثيرة مما تعرض لطلبة العلم، كل هذا من باب تزكية النفوس، ومن باب الحرص على إصلاح طلاب العلم، ليأتي العلم ويكون في محل قابل له، فيثمر هذا العلم، وينبت نباتاً حسناً، فإن العلم إذا طلبه من زكى نفسه أثَّر فيه، وأصلح حاله.

ومما اشتهر عن الحسن البصري وهو في كتاب أخلاق العلماء لأبي بكر الآجُرِّي، وفي إسناده ضعف، لكنه مشهور عنه في كتب الآداب، أنه قال: (إِنْ كَانَ الرَّجُلُ -مِنَّا- إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَى ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ)، كان الرجل إذا طلب العلم، لم يلبث، أي سرعان ما يظهر أثر العلم عليه، فيزكي بذلك نفسه، لأن ذلك العلم جاء على موضع صالح له، فأثمر.

فيا طالب العلم اعتنِ بذلك، طهر نفسك، طهر قلبك، بتلاوة كلام الله جل وعلا، وبالإقبال عليه، كذلك طهِّرها بدعاء الله سبحانه وتعالى كما دعا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لذلك الشاب، الذي جاء يستأذن في الزنا، فقال: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ**»، حديث أبي أمامه عند الإمام أحمد وغيره[1]، قال: فكان ذلك الشاب لا يلتفت إلى شيء أبداً، حين دعا له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطهارة القلب.

(١) رواه أحمد برقم: (٢٢٢١١ - ٢٢٢١٢)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم: (٥٠٣٢).

بل كان من دعاء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في صحيح مسلم (٢٧٢٢)، عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**». يسأل الله تعالى أن يزكي نفسه، وهو أزكى الناس نفساً عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومع ذلك يسأل الله تعالى أن يزكي نفسه، فادعُ الله تعالى أن يزكي نفسك.

وهكذا زكِّ نفسك بالبعد عن المعاصي، فإن المعاصي تلوث هذه النفس ولا تطهرها ولا تزكيها، وزكِّ نفسك بالإقبال على الله سبحانه وتعالى ومجاهدة النفس على الأقوال الطيبة والأفعال الطيبة والأخلاق الحسنة والمعاملات الطيبة، تنتفع بعلمك وينفع الله سبحانه وتعالى بك نفعاً عظيماً.

وأنتم في هذه الدور التي هي سبيل تزكية النفوس، تقرؤون القرآن وتفسيره، وتقرؤون الحديث وشروحه، وتسمعون كلام السلف، وتقرؤون في كتب الأدب، أدب السلف في طلب العلم وما كانوا عليه، وهذا هو سبيل تزكية النفوس وتطهيرها من كل ما ينتابها.

وهذه مشاركة مني في هذا المجلس، وإلا فأنتم في خير عظيم، وفي دعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وفي علم وتعليم.

فنسأل الله سبحانه وتعالى لنا ولكم التوفيق والسداد، وأن يأخذ بأيدينا إلى كل خير.

وشكر الله للشيخ الفاضل أبي عمرو إتاحته للفرصة في هذا المجلس.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا وإياكم بما قلنا وسمعنا، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❊❊❊

فهرس

المقدمة..... ٥
صفات المجددين للدين..... ٧
ومعرفة التجديد والمجدد يتبين بمعرفة صفات المجدد:..... ٩
معنى الحديث إجمالا:..... ١٤
معنى يبعث:..... ١٥
المراد بالسنين:..... ١٦
من فوائد الحديث:..... ١٧
تزكية النفوس والتعليم..... ٢٢
الآيات التي فيها ذِكْرُ التزكية قبل التعليم:..... ٢٣
ونستفيد من هذه الآيات:..... ٢٥
فهرس..... ٣٥

***

دار العلم النافع
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - محافظة الضالع - جوار دار الحديث السلفية
+967 737850783 +967 777827532
Email:amarhedyain@gmail.com